حول الفيتنام . فما كان مفروضا به ان يكون « حربا محدودة » — يعني محدودة من حيث تأثيرها على المعتدي ، لا من حيث نتائجها على الشعب المتعرض للغزو — كلفت اكثر من ربع مليون اصابة **اميركية** ، وما يقدر بـ ٢٠٠ بليون دولار . وصارت الحرب « غير المنظورة » — والمنظورة جدا بالنسبة للسكان المحاصرين — واضحة جلية بالنسبة الى العالم . وفرضت الحرب « المنسية » — وكم يتذكرها ضحاياها — على وعي الشعب الاميركي . كانت الثورة الفيتنامية محكا للثورات المعاصرة ، فهزمت الافتراضات الجماعية للتكنولوجيا الحديثة، والقت الشك على مناعة القوة الاميركية .

كان كيسنجر بوصفه نصيرا لمبدأ « الحروب المحدودة » — وهي التي يقول انها حروب « صيانة » لا حروب « غزو » — يفهم معنى الفيتنام . فقد كتب قبيل توليه السلطة : « مهما كانت نتيجة الحرب في الفيتنام ، فمن الواضح انها خفضت الى حد عظيم استعداد اميركا للتورط في هذا الشكل من اشكال الحروب في اماكن اخرى . **ولذا فان فائدتها كسابقة اضعفت على نحو خطير**». (هنري كيسنجر ، « القضايا الرئيسية للسياسة الخارجية الاميركية » **في جدول اعمال الامة** ، واشنطن ، دي سي ، بروكينغز انستيتيوشن ، ١٩٦٩ . التشديد مضاف) . وفيما بعد ، بصفته معاونا خاصا لنيكسون ، قال للصحافيين ان ما نفعله في الفيتنام يجب ان يقاس في اطار اكبر من الفيتنام نفسها » . (شرح خلفية الانباء ، ٢٦ حزيران — يونيو ، ١٩٧٠). واحد الادلة على التزام واشنطن بالاستمرار في انتهاج سياسة تدخلية مضادة للثورات هو ان كيسنجر ، خلال اعوامه الاربعة الاولى في الحكم ، بذل الكثير من مواهبه وانزل الاما فائقة غير محدودة في الشعب الهندي الصيني لكي ينقذ على الصعيد النفسي والرمزي ، فحسب ، ما كان واضحا ان الولايات المتحدة خسرته من الناحيتين السياسية والعسكرية .

« مبدأ نيكسون » والشركات الدولية

وجهة النظر غير التدخلية ، اذا ، تبقى بغيضة في واشنطن . ويشجب المسؤولون كل تعبير عنها بوصفه انعزالية جديدة . ولم تؤد « امثولات » الفيتنام إلا الى اعادة صياغة دور اميركا كحارس للرأسمالية المتحدة ، وليس الى انهائه ، فاستراتيجية « البروفيل المنخفض » والنفقات المنخفضة» للسبعينات سعت الى التغلب على قيود المعارضة الداخلية للتدخلية ، فيما هي تحاول استغلال الثروات المتزايدة للحلفاء والاتباع . وهي تستلزم تشجيع مجموعات القوة الاقليمية في المناطق المهمة استراتيجيا من العالم ، واعادة تنظيم القوات المسلحة الاميركية لجعلها ، على حد تعبير الاميرال زوموالت ، اسلحة مرتكزة على التكنولوجيا العالية وتكثيف الرأسمال ... لدعم الجيوش المحلية للحلفاء المهددين بالخطر » .

لقد دافع السيد كيسنجر ، منذ ١٩٥٥ ، عن سياسة خلق شبكات عسكرية اقليمية تتلقى ، عندما تدعو الحاجة ، دعما مباشرا من الولايات المتحدة ، خصوصا من قوتها الجوية والبحرية . وفي مقالة بعنوان « السياسة العسكرية والدفاع عن (المناطق الرمادية) » كان قد اوصى « بخلق احتياطات استراتيجية » ، و « قوات دفاع مركزية في البلدان الخطيرة الثلاثة » : ايران وباكستان والهند الصينية . وفي ما بعد تغير تقييمه للبلدان الخطيرة . لكن المفهوم ظل قائما . وفيما بعد تكرر مع بعض التحسينات ، وفي عام ١٩٦٨ ، قبيل انضمام كيسنجر الى جهاز نيكسون ، وجد التعبير التالي : « لم تعد الولايات المتحدة في مركز يسمح لها بادارة برامج على نطاق عالمي ، بل عليها ان تشجع مثل هذه البرامج ... فنحن دولة متفوقة ماديا ، لكن خططنا لا يمكن ان تكون ذات معنى الا اذا ولدت تعاونا راغبا ... سيتوجب على المجموعات الاقليمية التي تدعمها الولايات المتحدة ان تتولى مسؤولية كبيرة عن مناطقها المباشرة ، مع اهتمام الولايات المتحدة باطار النظام الاجمالي اكثر من اهتمامها بادارة كل مشروع اقليمي » . (**جدول اعمال لامة** ، ص ٦١٢ ، ٦١٤) .

ووجدت الفكرة تأييدا سهلا في واشنطن .فالثمن الباهظ للحرب الفيتنامية كان قد ارغم البنتاغون على البحث عن طرق لخفض نفقات اميركا واصاباتها دون التأثير في قدرتها على التدخلات . وكان المسؤولون في ادارة جونسون قد ابتدأوا يشددون على الحاجة الى خفض توزيع الجنود الاميركيين الى الحد الادنى ، لا عن طريق استخدام